

الأسطول والقوة البحرية في عمان

خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر

بقلم: الدكتور فاضل محمد الحسين

بلغت القوة البحرية العمانية أقصاها إبان عهد السلطان سعيد بن سلطان (١٨٠٤-١٨٥٦)، إذ كان الأسطول العماني الحربي والتجاري خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر يعد ثاني أكبر أسطول على الإطلاق في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي. فهو يأتي بالمرتبة الثانية بعد الأسطول البريطاني.

إن التطور الكبير الذي طرأ على الأسطول والقوة البحرية العمانية خلال هذه الفترة يعود إلى أسباب شتى أهمها حرص واهتمام السلطان سعيد شخصيا ببناء الأسطول البحري العملاق لعمان، إذ أمر ببناء العديد من السفن الحربية في أحواض السفن في الهند^(١).

كما أن منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي في عهد السلطان سعيد كانت تشهد حالات من التنافر والصراع والحرب والقرصنة ساهمت في خلقها القوى المحلية والدولية الأمر الذي حمل السلطان سعيد على تشكيل أسطول كبير وقوة بحرية مرهوبة الجانب في عموم المنطقة فضلا عن حمايته التجارة العمانية والعلاقات التجارية لعمان^(٢). زائدا التطلع والطموح الكبير للسلطان سعيد في فتح بعض المناطق وضمها لدولته عمان مثلما حدث مع شرق أفريقيا ومناطق أخرى. إذ كان السلطان سعيد كثير التطلع والطموح خارج عمان. حيث امتد طموحه للسيطرة على مناطق شاسعة

تبدأ من الخليج العربي وجنوب إيران وبلوشستان إلى الساحل الشرقي لأفريقيا ومدغشقر. وكل هذا يتطلب منه إعداد أسطول قوي وقوة بحرية متقدمة (٣).

كما لا يفوتنا في هذا الصدد الأسباب النفسية والعوامل المعنوية التي كانت تدفع بالسلطان سعيد إلى بناء أسطوله وقوته البحرية حيث اشتهر بأنه "السيد البحار"، إذ كان السلطان سعيد كثير السفر في البحر حيث يقطع مسافات طويلة وهو على متن السفينة. وكان يشعر بالغبطة والسعادة عندما يقود بنفسه سفينته الخاصة (شاه علم) (٤)، وكان يملك شخصيا عشرين سفينة يستخدمها في تجارته الخاصة الأمر الذي دفعه شخصيا إلى الاهتمام بالأسطول والقوة البحرية خلال تسلمه الحكم في عمان.

الواقع، أن عمان لم تهتم بأسطولها وقوتها البحرية إبان عهد السلطان سعيد فحسب، وإنما كانت منذ القدم وعبر مراحلها التاريخية تعير الاهتمام الفائق إلى القوة البحرية لحماسة أسطولها التجاري. إذ كان الأسطول التجاري والحربي العماني من أكثر الأساطيل قوة وعددا لقرون عديدة في غرب المحيط الهندي (٥)، لكي يستطيع حماية التجارة والعلاقات التجارية العمانية كما يستطيع أن يقوم بالدفاع عن سيادة عمان في الداخل ومواجهة أعدائها في الخارج. إذ لعب الدور ذاته خلال العصور الإسلامية المختلفة وحتى العصر الحديث الذي تلقى فيه الأسطول العماني ضربة قوية من قبل الأسطول البرتغالي في خور جراما عام ١٥٠٧ م مما أدى إلى إغراقه، لكن العمانيين لم يستسلموا لهذه الضربة القوية فقد نهضوا من جديد وتصدوا للهجمة البرتغالية الشرسة منذ عام ١٦٢٤ م وتكمنوا من مهاجمة الأسطول البرتغالي في مسقط بعد أن تلافوا نقاط الضعف في أسطولهم وضاعفوا من أعداد قطع الأسطول وحجم السفن. وعندما استلمت الأسرة البعيرية مقاليد

الحكم في عمان عقب انهيار الأسرة النبهانية، أدرك الحكام الجدد لعمان بأن قوة عمان ومنعتها تكمن في قوتها الحربية البحرية، وعلى ضوء ذلك سعى الإمام سيف بن سلطان اليعربي إلى إعداد أسطول بحري قوي تمكن به من التصدي للأسطول البرتغالي، وبذلك بدأت مرحلة جديدة من تاريخ البحرية العمانية عقب تحرير العاصمة مسقط. كما بدأت مرحلة جديدة من النفوذ العماني في الخليج العربي امتدت لفترة قرنين من الزمن تقريبا.

وكان هناك حافز آخر للسلطان سعيد في بناء أسطوله وقوته البحرية، إذ أن الإرث التاريخي الكبير لدولته عمان في ميدان الأسطول والقوة البحرية لا يجعله يتقاعس عن بذل قصارى الجهد في سبيل استعادة مجد الأسطول العماني الحربي والتجاري بل على العكس كان يدفعه للتميز في هذا المضمار عن العهود التي سبقتة، وهذا ما حدث بالفعل إذ لم يأل السلطان سعيد جهدا في بناء ترسانته البحرية العسكرية والتي حقق بواسطتها حلمه الكبير في التربع على عرش دولة كبيرة وقوية نعتها المؤرخون بالإمبراطورية لكونها كانت مترامية الأطراف ومن أبرز مقوماتها الاقتصاد المتين والقوة البحرية الرادعة.

بعد أن أوضحنا في المقدمة السالفة الأسباب والمبررات التي دفعت بالسلطان سعيد إلى بناء الأسطول العماني والقوة البحرية، سنحاول فيما يلي إلقاء الضوء على تشكيلات ومهام الأسطول والقوة البحرية العمانية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر من خلال المحورين التاليين:

أولاً: تشكيلات الأسطول والقوة البحرية

قبل التطرق إلى تشكيلات الأسطول العماني والقوة البحرية العمانية في عهد السلطان سعيد، حري بنا أن نتناول نبذة مختصرة عن تاريخ الأسطول والقوة البحرية العمانية منذ القدم ولغاية مطلع القرن التاسع عشر للميلاد.

تفيد المصادر والوثائق التاريخية القديمة بأن عمان كان لها باع طويل في ميدان الأسطول والقوة البحرية، إذ أن تشكيلات الأسطول العماني قد بلغت ميدان الأسطول والقوة البحرية، إذ أن تشكيلات الأسطول العماني قد بلغت أكثر من ثلاثمائة سفينة للعمليات أيم الإمام المهنا بن جيفر اليعمدي الخروصي (٨٣٩ - ٨٤١ م) ^(٦)، كما بلغ عدد سفن الأسطول العماني أيام الإمام الصلت بن مالك الخروصي (٨٥٧ - ٨٨١ م)، أكثر من ثلاثمائة بارجة حربية مسلحة عندما هاجم الأحباش جزيرة "سقطري" التي كانت تابعة لعمان ^(٧). وقد استمر الأسطول العماني بالتفوق والقوة حتى ظهور السفن الأوروبية في المياه العربية فبدأ التحدي الكبير والخطر لأول مرة، وقد تمثل أول تحد أوروبي بحري بظهور الأسطول البرتغالي المتفوق من حيث العدة والتسايح في عهد الإمام محمد بن إسماعيل عام ١٥٠٠ م، وقد تمكن الأسطول البرتغالي بقيادة إفونسو البوكيرك إحالة المنطقة الممتدة ما بين رأس الحد ورأس مسندم إلى حطام ^(٨).

لقد تعرض العمانيون إلى ضربة قوية من قبل الأسطول البرتغالي إلا أنهم لم يستسلموا بل تمكنوا من التصدي والمقاومة حتى تحقيق النصر وطرد البرتغاليين من عموم منطقة الخليج العربي، كما أشرنا إلى ذلك في مقدمة البحث.

ولكن الذي يهمنا في هذا الصدد هو أن العمانيين قد تعلموا دروسا بليغة من تحدي البرتغاليين لهم، منها مواجهة العدو وتحمل الاندحار مرة وتحقيق الانتصار عليه مرات عدة. هذا من جانب، ومن جانب آخر إعادة النظر في تشكيلات أسطولهم الحربي وفي صناعة السفن من أجل رفع كفاءة وقدرة الأسطول العماني الذي تمكنوا به - فيما بعد - من مواجهة الأعداء بكل اقتدار، ومع مجيء اليعاربة إلى سدة الحكم في عمان عقب انهيار حكم الأسرة النبهانية، بذل الحكام اليعاربة قصارى الجهود من أجل إعداد أسطول بحري وقوة بحرية كبيرة تتمكن من التصدي للأساطيل المعادية في المنطقة. فأقدم العمانيون إبان عهد اليعاربة على التخلي عن التشكيلات القديمة لأسطولهم واستبدلوا بها تشكيلات حديثة، إذ أصبح الأسطول العماني يتشكل من سفن حربية حديثة مزودة كبير من المدافع، كما استخدموا في أسطولهم السفن الحربية كبيرة الحجم ذات الطراز الأوروبي المزودة بالمدافع الحديثة وقد تم بناء أغلبها في الهند^(٩)، ومن الجدير بالذكر أن القوة البحرية العمانية قد استطاعت في تطور لاحق أن تهزم الهولنديين الذين قدموا للمنطقة عقب البرتغاليين فألحقوا بهم خسائر فادحة، كما انتهز العمانيون فرصة انشغال الأوروبيين وصراعهم فيما بينهم من أجل تطويع النفوذ في الهند، فأقدموا على تطويع مراكزهم في شواطئ أفريقيا الشرقية وجزر المحيط الهندي وإقامة علاقات تجارية واسعة مع أغلب دول المنطقة.

لقد تمكنت القوة البحرية العمانية مطلع القرن الثامن عشر من أن تنجز أعظم أسطول بحري لدولة غير أوروبية في المحيط الهندي وأن تمتد سيطرتها على طول الشاطئ الأفريقي حيث بسط الاسطول العماني سيطرته على سواحل مقديشيو ومباسا وزنجبار ومبا والخليج العربي وبحر العرب ومشارف وادي الإندوس وسواحل الهند العربية^(١٠).

والواقع، إننا وبالرغم من إشارة الوثائق إلى ضخامة الأسطول العماني أوائل القرن الثامن عشر^(١١). وقوته العسكرية ومكانته في المنطقة وبسط سيطرته على مناطق شاسعة في المحيط الهندي والخليج العربي، إلا أننا لا نستطيع أن نعرف بشكل دقيق تعداد سفنه، وفي هذا الصدد يقو مايلز: "على الرغم من ضخامة الأسطول العماني إلا أننا لا نعرف تعداد سفنه وكل ما نعرفه أن قسما منه قد بنى على الطراز الأوروبي والآخر على الطراز الشرقي، ولكن الذي لا جدال فيه أن تسليحه كان ممتازا"^(١٢).

أما تشكيلات الأسطول والقوة البحرية في عهد دولة البوسعيد التي أعقبت دولة اليعاربة حيث تولى مؤسسها أحمد بن سعيد الحكم في عمان عام ١٧٤٩ م، فقد تطور الأسطول العماني كثيرا في عهد أحمد بن سعيد وقد استخدمه في نجدة أهالي البصرة ومطاردة القراصنة على سواحل مالابار وقد تحول الأسطول والقوة البحرية في عهده إلى قوة يحسب حسابها في المحيط الهندي. أما الأسطول والقوة البحرية العمانية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر وبالتحديد أيام السلطان سعيد الذي هو صلب موضوع بحثنا فقد تطور الأسطول العماني والقوة البحرية العمانية في عهده كثيرا حيث بلغت قوة عمان البحرية أقصاها وذلك لأسباب وعوامل ذكرناها في مقدمة البحث.

لقد أولى السلطان سعيد اهتماما فائقا ببناء الأسطول الحربي فكانت موانئ عمان خلال عهده مثل مسقط ومطرح وصور وشناص تشمل أهم أحواض بناء السفن من الأخشاب المستوردة من الهند فضلا عن الأخشاب العمانية، وقد أمر السلطان سعيد شخصا ببناء العديد من السفن

الحربية في أحواض بناء السفن الهندية وخاصة بومباي. ولعل من أ[ررز أنواع سفن الأسطول العماني والقوة البحرية إبان عهد السلطان سعيد هي كالآتي (١٣):-

١- **شاه علم:** هي عبارة عن فرقاطة فيها ستة وخمسون مدفعا وحمولتها تبلغ ألفا ومائة وأحد عشر طنا.

٢- **كارولين:** وهي عبارة عن فرقاطة تحمل على متنها أربعين مدفعا وتبلغ حمولتها خمسمائة وخمسة وسبعين طنا.

٣- **تاج بكس:** عبارة عن مركب تبلغ حمولته حوالي سبعمائة وسعة وثلاثين طنا.

٤- **ليفربول:** وهي عبارة عن بارجة تحمل أربعة وسبعين مدفعا تزن حمولتها ألفا وسبعمائة وخمسة عشر طنا.

٥- **سلطنة:** وهي سفينة تحمل أربعة عشر مدفعا وتبلغ حمولتها ثلاثمائة واثنى عشر طنا وتعد من أهم القطع الحربية العمانية لدى السلطان سعيد.

٦- **تاجه:** وهو عبارة عن مركب يحمل اثني عشر مدفعا وحمولته تبلغ ألفين وخمسة وعشرين طنا.

٧- **نوسري:** عبارة عن مركب تبلغ حمولته مائة وتسعة وسبعين طنا.

٨- **البغلة:** أكثر أنواع المراكب استعمالا في عمان والخليج وكانت تبلغ حمولته ما بين مائة وخمسين وأربعمائة طن.

٩- **السنبوق:** هو من أكثر المراكب العمانية عراقية وتتراوح حمولته بين عشرين إلى مائة وخمسين طناً.

١٠- **الجبوت:** وهو مركب متأثر بالتصميم الأوروبي فهو يشبه السفينة الأوروبية المسماة (جولي- بوت)، ويذكر أن اسمه مشتق من اسم المركب البرتغالي (جالبوتا)، وتبلغ حمولته ما بين أربعين وخمسة وسبعين طناً.

١١- **البدن:** أكثر السفن العمانية شهرة ولا زالت تستخدم للآن.

١٢- **البتيل:** مركب مزود بالمدافع وقد تصل حمولته إلى مائتي طن.

١٣- **الزيماء:** من السفن الساحلية الكبيرة، وهو يشبه البتيل إلى حد ما.

١٤- **الداو:** وهو من أكبر السفن العمانية.

١٥- **الغراب:** وهو من أقدم السفن الحربية العمانية وقد ورد ذكره على لسان العديد من الكتاب الأوروبيين ولونه أسود يشبه الغراب وتجمع أغربة أو غربان.

الواقع، هناك العديد من السفن الصغيرة التي كان يضمها الأسطول العماني أيام السلطان سعيد ولكننا اكتفينا بذكر ما تقدم لأهميتها وعراقتها ودورها الكبير في رفد القوة البحرية العمانية وتقدمها.

لقد كان الأسطول العماني أيام السلطان سعيد عملاقاً وقوياً، وقد احتل الدرجة الثانية في المنطقة بعد الأسطول البريطاني، إذ كانت له قواعده الرئيسية على الساحل الشرقي للخليج العربي في موانئ بندر عباس وجاسك وشامل وسيات وكنجة وجزر قشم وهرمز ولاراك، أما قواعده على

الساحل العماني فهي مسقط ومطرح وجزيرة مصيرة. أما على الساحل الأفريقي فقواعده كانت ممباسا ولامو وكلوة ومركة ومقديشيو وزنجبار، وقد أفادت المصادر التاريخية بأن السلطان سعيد كان يقضي فترة طويلة على ظهر السفن من أجل أن يتفقد المناطق الشاسعة من دولته عمان.

إننا لم نتمكن من الحصول على صورة دقيقة ومفصلة في المصادر التي اطلعنا عليها للأسطول العماني والقوة البحرية في عهد السلطان سعيد حيث أن المصادر والوثائق التاريخية لا تتفق على تشكيلة واحدة وثابتة للأسطول العماني يومئذ، بيد أن أحد التجار الأمريكيين الذي زار زنجبار مطلع الثلاثينيات من القرن التاسع عشر قدم لنا صورة عن تشكيلات الأسطول العماني أيام السلطان سعيد خلال زيارته، حيث ذكر بأن السلطان كان يملك أسطولا وقوة بحرية تتألف مما يلي:-

- ١- سفينة مزودة ب ٦٤ مدفعا.
- ٢- ثلاث فرقاطات مزودة كل منها ب ٣٦ مدفعا.
- ٣- سفينتان كل منهما مزودة ب ١٤ مدفعا.
- ٤- مائة مركب تقل ستة آلاف مقاتل.

كما ذكر لنا المفاوض الأمريكي (روبرتس) في تقريره بأن عمان في عهد السلطان سعيد كانت تملك أكبر أسطول تملكه جميع الدول الآسيوية والأفريقية الواقعة على سواحل المحيط الهندي (١٤). وقد أفاد لنا "جيان" كذلك بقوله بأن قوة السلطان سعيد قد بلغت درجة كبيرة من الخطورة إذ أن قوة عمان البحرية في عهده كانت تتشكل من ٣٧ سفينة حربية وقوته العسكرية بلغت ٢٥٠ ألف جندي منهم ٥٠ ألفا من جنود الأسطول (١٥).

وتذكر بعض المصادر أن الكابتن (هارث) قد وضع كشفًا مفصلاً عام ١٨٣٤ م بأعداد السفن للأسطول العماني أيام السلطان سعيد موضحاً أنواعها كذلك، ولكننا للأسف لم نعثر عليه بل أشار إليه رودولف سعيد في كتابه "سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان" ذاكراً بأن الكشف كان يذكر بارجة حربية واحدة وثلاث فرقاطات وسفينة حربية إضافة إلى عشرين سفينة تجارية عائدة للسلطان. علاوة على عدد من البغال البحرية والمراكب التي تحمل كل منها بين الأربعة والعشرة مدافع^(١٦).

وقبل التطرق إلى مصادر قطع الأسطول العماني والقوة البحرية يجدر بنا الإشارة إلى كيفية صناعة السفن التي يتضمنها الأسطول العماني. لقد كانت السفن العمانية تصنع حسب الطرق التقليدية قبل مجيء السفن الأوروبية إلى منطقة الخليج العربي والذي كان تفوقها واضحاً للعيان من حيث التسليح والحمولة بسبب استخدامها للمسامير في بنائها، عنئذ أدرك العمانيون سر تفوقها على سفنهم فأقدموا على تقليد الأوروبيين في استخدام المسامير لبناء السفن الأمر الذي جعلهم يبنون سفناً أكبر وأكثر تسليحاً، وما إن حل القرن الثامن عشر حتى أصبحت القوة البحرية العمانية تضم سفناً من الطراز الأوروبي ومزودة بالمدفعية الحديثة.

وعلى ضوء ذلك. أصبحت سفن الأسطول العماني وقوته البحرية أيام السلطان سعيد من الطراز الحديث كما سنلاحظ ذلك في الفقرة التالية لدى الحديث عن مصادر الأسطول العماني. إن أهم مصادر تشكيلات الأسطول العماني خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر هي كما يلي:-

أ- القيام بصناعة السفن حيث نشطت هذه الصناعة.

- ب- كثرة الموانئ العمانية التي كانت تبني فيها السفن مثل ميناء مسقط وصحار وصور، فكانت أحواض بناء السفن في صور مثلاً تتمتع بشهرة كبيرة في المحيط الهندي بل إنها أصبحت في عهد السلطان سعيد بالذات من أنشط مراكز بناء السفن في الجزيرة العربية كلها^(١٧).
- ت- ازدياد استيراد الأخشاب الصالحة لبناء السفن من الهند إلى الموانئ العمانية.
- ث- لم يكتف العُمانيون بصناعة السفن المحلية بل أقدموا على شراء سفن أوروبية من التجار وأصحاب السفن الأوروبية العاملين في المياه الآسيوية.
- ج- لجأ العُمانيون كذلك إلى بناء سفنهم في الموانئ الهندية ذات السمعة المتميزة مثل بومباي وسورات.

وعلى ضوء ما تقدم، أصبح لدى عمان منذ منتصف القرن التاسع عشر أكبر أسطول حربي وتجارى في المنطقة ما بين الخليج العربي وجزيرة مدغشقر. وكان له تواجد مهم في البحر الأحمر، وكانت سفنه الكبيرة تصل في رحلاتها إلى كلكتا وملقا وبتافيا (جاكرتا)^(١٨).

ثانياً: مهام وواجبات الأسطول والقوة البحرية

قبل التطرق إلى مهام وواجبات الأسطول والقوة البحرية العمانية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ويجب علينا توضيح سبب ربطنا عبارة القوة البحرية بكلمة الأسطول والتي وردت في عنوان ومتن البحث، والجواب، أننا أردنا أن نميز الأسطول الذي نبحت فيه وهو الأسطول الحربي والذي يختلف عن الأساطيل الأخرى، مثل الأسطول التجاري أو أسطول صيد الأسماك أو أسطول صيد اللؤلؤ وغيرها، ولو أن الأسطول التجاري كثيراً ما تحميه قطع الأسطول الحربي، أو غالباً ما يحمل الأسطول التجاري على متن سفنه قوة عسكرية رادعة كالمدافع من أجل حماية السلع

التجارية. وأحيانا يحمل الأسطول الحربي ذاته السلع التجارية من أجل حمايتها وحماية العلاقات التجارية لعمان، ولا نعتقد بأن هناك أسطولا تجاريا خاليا تماما من القوة البحرية العسكرية وقد قيل قديما عن هذا الوضع بأن التاجر في تلك الأيام التي نبحت فيها كان يحمل السلعة بيد والسلاح باليد الأخرى، والحالة هذه فإن أغلب السفن في تلك الحقبة كانت تحقق هدفين في آن واحد أحدهما حربي والآخر اقتصادي. كما عبر عن ذلك (مايلز) ^(١٩).

وعلى العموم فإن هدفنا من هذه المقدمة الموجزة مطلع هذا المحور هو أن نؤكد ما نرمي إليه في هذا البحث. ألا وهو الأسطول الحربي ذو المهام العسكرية. وسنرى ذلك واضحا في الفقرة التالية عند تطرنا لمهام الأسطول وواجباته.

لقد حمل الأسطول والقوة البحرية العمانية في عهد السلطان سعيد على عاتقه تحقيق المهام

الأساسية الآتية:-

- ١- التصدي بجزم لأساطيل الدول المعادية لعمان في عموم منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي، خاصة وقد تزامن عهد السلطان سعيد مع الصراع البريطاني الفرنسي بالمنطقة. وهذا يعني أن الأسطول والقوة البحرية كانت تستخدم لحماية البلاد من الغزاة والمحتلين ^(٢٠).
- ٢- التصدي بقوة لحالات التنافر والصراع التي شهدتها منطقة الخليج العربي أيام السلطان سعيد، إذ دخلت عمان في صراع مع القوى المحلية كالوهابيين والقواسم ^(٢١).
- ٣- التصدي لأعمال القرصنة التي نشطت في عهد السلطان سعيد في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي والتي شاركت فيها قوى دولية ومحلية، الأمر الذي أدى إلى توقف الرحلات التجارية أحيانا وعدم استتباب الأمن والاستقرار في عموم المنطقة ومنها المياه الإقليمية

العمانية. وقد تعرضت سفينة السلطان سعيد الشخصية (كارولين) إلى الهجوم من قبل هؤلاء القراصنة، ومن المفيد الإشارة في هذا الصدد أن السلطان سعيد كان يقود بنفسه الأسطول العماني من أجل التصدي لأعمال القرصنة، وقد أصيب بجرح خلال إحدى عمليات التصدي لهم^(٢٢).

٤- ومن بين مهام الأسطول والقوة البحرية وواجباتها أيام السلطان سعيد استخدامه للقضاء على حالات التمرد التي تحدث ضمن دولة عمان سواء في الجزء الآسيوي أو الجزء الأفريقي. كما حدث ذلك عندما تمرد حمود بن عزان على السلطان سعيد معلنا انتزاع ساحل الباطنة منه وجعله تحت قيادته^(٢٣)، ونفس الأمر حدث في الجزء الأفريقي من عمان وبالتحديد في جزيرة زنجبار ومباسا فأقدم السلطان سعيد على استخدام أسطوله والقوة البحرية من أجل قمع المتمردين وعودة المنطقتين تحت سيطرته^(٢٤).

٥- تلبية طموحات السلطان سعيد في الفتح والتوسع وإضافة مناطق جديدة لدولته عمان كانت أيضا من مهام الأسطول والقوة البحرية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولعل أوضح دليل على ذلك هو إقدام السلطان سعيد على ضم أجزاء كبرى من شرق أفريقيا إلى دولته عمان^(٢٥)، كما حاول السلطان سعيد بواسطة أسطوله وقوته البحرية أن يضم البحرين إلى دولة عمان عام ١٨٢٨ م، ولكنه أخفق في ذلك، وقد أصيب شخصا بجرح خلال معركة الاقتحام للبحرين^(٢٦).

كما انتهز السلطان سعيد فرصة اغتيال حاكم ظفار الشيخ محمد بن عقيل عام ١٨٣٩ م ليعتد بقوته البحرية إلى المنطقة، وقد تمكن من الاستيلاء على ظفار وضمها إلى دولته عمان، ثم

اضطر إلى سحب قواته العسكرية من ظفار بعد وقت قصير لحاجته الماسة لها في حملاته على شرق أفريقيا إلا أن منطقة ظفار بقيت تابعة لعمان منذ ذلك الوقت (٢٧).

٦- ومن واجبات الأسطول ومهام القوة البحرية كذلك حراسة الممتلكات الشاسعة لعمان والممتدة بين بندر عباس وزنجبار وكذلك حراسة عشرات الموانئ الواقعة على السواحل العربية والأفريقية مع عشرات الجزر المتناثرة في الخليج العربي والمحيط الهندي (٢٨).

٧- ومن بين المهام للأسطول والقوة البحرية كذلك حماية السفن التجارية التي تبحر بين الهند وجنوب الجزيرة العربية وأفريقيا وذلك خدمة وحماية للعلاقات التجارية لعمان مع دول العالم (٢٩).

٨- كما كان الأسطول والقوة البحرية العمانية تقوم بخدمة العلاقات الدبلوماسية لعمان في الخارج، مثلما حدث مع السفينة (سلطانة) التي أقلت مبعوث السلطان سعيد وهو (أحمد بن نعمان الكعبي) إلى نيويورك عام ١٨٤٠ م وكانت أول سفينة عربية تلقي بمراسيها في ميناء أمريكي بعد أن عقدت بين البلدين معاهدة عام ١٨٣٣ م، وقد تمت مصادقة الرئيس الأمريكي (جاكسون) ومجلس الشيوخ على المعاهدة عام ١٨٣٤ م، بعدها قدم المفوض الأمريكي (روبرتس) إلى مسقط من أجل تبادل الوثائق الخاصة بالمعاهدة وذلك على ظهر السفينة الحربية (٣٠)، كما أن السفينة الحربية (كارولين) المزودة بأربعين مدفعا قد زارت مرسيليا عام ١٨٤٩ م زيارة دبلوماسية حاملة معها البضائع الشرقية من أجل توطيد العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا (٣١).

الواقع، لدى اطلاعنا على المهام والواجبات الكبيرة التي أداها الأسطول العماني والقوة البحرية في عهد السلطان سعيد نتوصل إلى حقيقة واحدة في هذا الصدد ألا وهي كفاءة الأسطول العماني وقدراته المتميزة التي مكنته من إنجاز هذه المهام والواجبات بنجاح كبير.

لذا. وجب علينا التعرف على العوامل والأسباب التي كانت تقف وراء نجاح الأسطول العماني والقوة البحرية وهي بإيجاز كما يلي:-

أ- التطور الهائل الذي حدث لعمان في حقل العلوم الملاحية في عهد السلطان سعيد. وهي في معظمها علوم عمانية عربية في الأصل، إذ مخر العمانيون المحيط الهندي منذ قرون قديمة واكتشفوا معظم السواحل الآسيوية والأفريقية قبل الأوروبيين، وقد ألف أساتذة العلوم البحرية العمانية العديد من الكتب في علوم الملاحة ومن بينهم أحمد بن ماجد وسليمان المهري والتي ظلت دليل عمل لكل من يشغل في قيادة السفن (٣٢).

ب- استقدام السلطان سعيد خلال عهده للخبراء في الميادين العلمية والبحرية من بريطانيا وفرنسا وهولندا والبرتغال من أجل تفقد السفن المصنوعة في ترسانات صناعة السفن في الهند.

ت- الاتصالات العلمية البحرية بين عمان والإمارات الهندية الساحلية والتعاون الوثيق الذي كان يجري بين الجانبين من أجل بناء السفن الجيدة.

ث- خلق موانئ عمانية مهيأة لاستقبال السفن من الدولة الصديقة والمتربطة مع عمان تجاريا ودبلوماسيا ولكافة الأنواع والأحجام، وقد أشار لذلك قادة الأساطيل البريطانية والأمريكية والهولندية والفرنسية والألمانية وقناصل هذه الدول وأكدوا توفر التسهيلات الكبيرة التي

كانت تقدمها سلطات الموانئ العمانية إلى تلك الأساطيل وقد أثنوا جميعاً على ما لاقوه من مساعدة وكرم ضيافة من لدن السلطان سعيد وأولاده وممثليه (٣٣).

ومن أجل إعطاء صورة صادقة عن حجم الأساطيل الأجنبية التي كانت تزور موانئ عمان أيام السلطان سعيد نذكر فقط كنموذج أن أعداد السفن الأمريكية التي زارت ميناء زنجبار عام ١٨٣٤ م. وحدة قد بلغت ثلاثين سفينة (٣٤).

لا بد لنا في نهاية المحور أن نشير بأن قطع الأسطول العماني وقوته البحرية خلال عهد السلطان سعيد لم تكن ذاتها في كل مهمة أو واجب، وإنما كانت تختلف في أنواعها وأحجامها وأعدادها من مهمة إلى أخرى. أي أن الأسطول كانت تتشكل سفنه حسب المهمة الموجه إليها وكذلك الأمر مع طاقم الأسطول. ولذلك نرى أن صناعة السفن تختلف هي الأخرى من سفينة لأخرى حسب المهمة المعدة لها السفينة وكانت أحواض بناء السفن تختلف هي الأخرى حسب إنتاجها للسفن لأن هناك سفناً معدة لغرض الشحن أو التجارة أو عبور المحيطات أو استخراج اللؤلؤ أو القتال، وهناك من السفن ما يعد لأغراض مختلطة مثل التجارة والقتال في آن واحد، كما أن هناك سفناً بحرية حربية ذات مهام متشعبة كالمطاردة والتصدي للقراصنة أو الدخول في معارك بحرية معادية، كما أن هناك سفناً تعد لغرض الإنزالات البحرية على السواحل وضرب القلاع والتحصينات الساحلية وإمداد السفن البحرية وغيرها.

كذلك الأمر مع طاقم السفينة حيث يختلف طاقم البحارة للسفن وسدنتها حسب مهامها ووفق حجمها وتسليحها.

فمثلا السفن العابرة للمحيطات كان طاقمها يتألف خلال عهد السلطان سعيد من ٢٥ - ٤٠ بحارا ومن بين هؤلاء النواخذة أو الربان ثم المعلم أو الملاح ثم الكراي أي الكاتب ثم الساهيانج أي مساعد الربان والسكاني وهو موجه الدفة أو السكان ثم البانيلي وهو مراقب القوارب، ويلاحظ أن أغلب التسميات لطاقم السفن إما أن تكون فارسية أو هندية ما عدا تسمية المعلم التي أطلقها العمانيون على أمهر الملاحين في قيادة السفينة (٣٥).

وعلى العموم، فإن الأسطول العماني والقوة البحرية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر كان يحسب له ألف حساب من قبل جميع القوى والأساطيل الموجودة في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي وحتى الأسطول البريطاني الذي كان يحتل المرتبة الأولى في المنطقة كان قاداته يخشون لو قرر السلطان سعيد مرة أن يفرض سيادته على المحيط الهندي والخليج العربي وواجه الأسطول البريطاني، فإن بريطانيا ستجد نفسها- في ذلك الوقت- في وضع لا تحسد عليه لأنها كانت تدرك صعوبة مواجهة الأسطول العماني وقوته البحرية ناهيك عن الانتصار عليه ودحره (٣٧).

وقد ذكر لنا (جيان) ذلك صراحه حيث أكد قلق الحكومه البريطانيه من تعاظم القوه البحريه لدى السلطان سعيد في المنطقه

والواقع. أن هذا التخوف والقلق البريطاني دفع الإنجليز إلى التقرب من السلطان سعيد وعقد معاهدة من عمان عام ١٨٣٩ م والتي أدت إلى دعم العلاقة بين الجانبين وأثمرت التعاون الوثيق والتنسيق بينهما في العديد من المعارك التي خاضوها معا ضد التحالفات المعادية لهما في المنطقة (٣٨).

الخاتمة

توصلنا من خلال البحث إلى ما يلي:-

أولاً:

تطور الأسطول والقوة البحرية كثيراً في عمان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر بحيث عد من أكبر الأساطيل في الخليج العربي والمحيط الهندي.

ثانياً:

كان للسلطان سعيد بن سلطان (١٨٠٤ - ١٨٥٦ م) دور كبير فيما وصل إليه الأسطول والقوة البحرية من تعاظم وقوة، وذلك بسبب شغفه بالبحر وتطلعه لضم العديد من المناطق إلى دولته عمان بالإضافة إلى شجاعته في مواجهة الأعداء والمتمردين على سلطته.

ثالثاً:

حدث تطور نوعي كبير للأسطول العماني والقوة البحرية أيام السلطان سعيد حيث رفدت أحواض بناء السفن المعروفة بتميزها بصناعة السفن في كل من عمان والهند الأسطول العماني بأنواع متقدمة من السفن الحربية الكبيرة فضلاً عن شراء السفن الأوروبية وجلب الخبراء الأوروبيين لمتابعة صناعة السفن العمانية في كل من أحواض الهند وعمان والتي كانت تنتج سفناً كبيرة ذات مواصفات أوروبية، الأمر الذي جعل الأسطول والقوة البحرية العمانية ترتقي إلى مستوى المهام والواجبات المعدة لها كالفتح ومواجهة الأعداء أو التجارة وحماية العلاقات التجارية لعمان أو استرداد المناطق المستحوذة عليها من قبل المتمردين.

د. فاضل محمد الحسيني

جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات

الهوامش

- ١- عمان في التاريخ. مجموعة البحوث التي أقيمت في ندوة عمان في التاريخ المنعقدة في مسقط عام ١٩٩٤م. سلطنة عمان ودار إميل للنشر المحدودة. لندن ١٩٩٥ م ص ص ٣٣٤-٣٣٥.
- ٢- هولي. دونالد. عمان ونهضتها الحديثة. مؤسسة ستايسي الدولية. لندن، ترجمة فؤاد حداد وعادل صلاحي. ١٩٧٧ م، ص ٤٧.
- 3- Coupland, R, East Africa and it's Invaders. London, 1968. P. 222.
(لقى السلطان سعيد حتفه وهو في عرض البحر).
- ٤- هولي. مصدر سابق. ص ٤٨.
- ٥- جريجوريف. سيرجي. عمان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. مجلة الوثيقة. البحرين. العدد (٤١). السنة ٢٠٠٢ م. ص ١٥٤
- ٦- السيادي. سالم بن حمود بن شامي. عمان عبر التاريخ. سلطنة عمان. الجزء الثاني، ١٩٨٠ م. ص ١٥٣.
- ٧- عمان في التاريخ. مصدر سابق. ص ٣٢٩.
- ٨- مايلز. س. ب. الخليج بلدانه وقبائله. ترجمة محمد أمين عبد الله، الطبعة الرابعة، عمان ١٩٩٠ م. ص ١٤٧.
- ٩- لاندن. روبرت جيران. عمان منذ ١٨٥٦ م مسيرا ومصيرا. ترجمة محمد أمين عبد الله، الطبعة الثالثة. عمان ١٩٨٣. ص ص ٥٠-٥٢.

- ١٠- عمان في التاريخ. مصدر سابق. ص ٣٣٢.
- 11- Amillton, A new Account of the East India 1688-1723, Vol. I, P 45.
- نقلا عن الربيعي. إسماعيل نوري، نشاط عمان البحري خلال القرن الثامن عشر. مجلة الوثيقة. البحرين. العدد (٢٤). السنة ١٩٩٤ م. ص ٧٩.
- ١٢- عمان في التاريخ. مصدر سابق. ص ٣٣٢.
- ١٣- هذه التشكيلات للأسطول العماني أيم السلطان سعيد اعتمدت من المصادر التالية:
- أ- فيلبس. ويندل. تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط ٤، ١٩٩٤ م. عمان ص ١١٠-١١٣.
- ب- روث. رودلف سعيد. سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ١٧٩١-١٨٥٦ م. ترجمة عبد المجيد حسن القيسي. البصرة ١٩٨٣ م. ص ١٨٨.
- ت- عمان في التاريخ. مصدر سابق. ص ٣٣٤-٣٥٠.
- ث- عمان في أمجادها البحرية. سلسلة تراثنا العدد الثامن. الطبعة الثالثة. عمان، ١٩٩٤ م. ص ٨٩-٩٦.
- ١٤- قاسم. جمال زكريا. دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤ م. الكويت. الطبعة الثانية ١٩٧٤ م. ص ٨٣.
- 15- Guillain, M., Documents Sur I'Histoire, la Geographic, et le Commerce del'Afrique. Tomell, Paris, 1856k PP. 253-254.

ولنا أن نقدر قوة السلطان العسكرية. حيث وصل تعداد جنده إلى ربع مليون جندي في ذلك الوقت.

16- Selection from the Records of Bombay Government, Vol. XXIV, Bombay, 1856, P. 2826;

روث. رودلف سعيد. سلطنة عمان حكم السيد سعيد بن سلطان، ١٧٩١-١٨٥٦ م، ترجمة عبد المجيد حسين القيسى. البصرة ١٩٨٣ م. ص ١٨٨.

١٧- عمان في أمجادها البحرية. مصدر سابق. ص ٩٥.

١٨- لوريمر. جون جوردن، دليل الخليج. القسم التاريخي. ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر. بيروت ١٩٧٠ م. الجزء الأول. ص ١٦٤.

١٩- مايلز. مصدر سابق. ص ٢٤٣.

٢٠- بن حبيب. مال الله بن علي، ملامح من تاريخ عمان. ترجمة محمد محمد كامل. عمان بدون تاريخ. ص ٦٢٥.

21- B.P.S.P. No. 8320-26 dated 7/9/1809, from Governor of Bombay to Imam of Muscat.

٢٢- فيلبس. مصدر سابق. ص ١١٣-١١٦.

23- Bombay Political Proceedings, No. 27 dated 7/7/1830, from Assokin Assure lance of Muscat to the Persian Secretary.

24- B.P.P.F., No. 7243, dated 29/10/1824 from Imam of Muscat to Governor of Bombay.

٢٥- فيلبس. مصدر سابق. ص ١٢٥؛ بن حبيب، مصدر سابق. ص ٢٥.

- 26- Badger, George Percy, History of the Imams and Seyyeds of Oman By Salil Razik from A.D. 661-1856, translated from the Original Arabic and edited with appendices and an introduction containing the History, London, 1871, P. 347.
- ٢٧- مايلز. مصدر سابق. ص ٢٧٢؛ روث. مصدر سابق. ص ٨٧.
- ٢٨- عمان في التاريخ. مصدر سابق. ص ٣٣٥.
- ٢٩- المصدر نفسه. ص ٣٣٥ - ٣٣٦.
- 30- B.P.P. No. 211, dated 18/11/1885 from Resident in the Gulf, to the Governor in Council.
- ٣١- عمان في أمجادها البحرية. مصدر سابق، ص ٦٦.
- ٣٢- المصدر نفسه. ص ٧٧ - ٨١.
- 33- Parsons, Travel in Asia and Africa, London, 1808, P. 220;
- لاندن. مصدر سابق. ص ٧٨.
- ٣٤- عمان في التاريخ. مصدر سابق. ص ٣٣٦ - ٣٣٧.
- ٣٥- المصدر نفسه. ص ٣٥١.
- ٣٦- روث مصدر سابق. ص ١٨٨.
- 37- Guillain, M., OP. Cit. PP. 242-254.
- 38- Atchison, Treaties, Engagement and Sanads relating to India and Neighboring Countries, Vol. XI, Delhi, 1833, P. 284.